طلائع المجد الطريف

فى أفريقيا الشمالية

ماذا فعلنا من أجلهم ؟

الأستاذ توفيق محمد الشاوى

دعك من حديث ماضيها المجيد الخالد ، فإن التاريخ الأمين لن ينسى هذه القرون الطويلة التى حملنا فيها لواء الحضارة ، ورفعنا راية الإنسانية السامية ، وانتقل معى إلى حديث طريف ، لا لذكره للتاريخ فحسب ، ولكن ليسمع كل عربى يؤمن بقوميته وعروبته ، وكل مسلم ثابت على عقيدته ورسالته ، فينفض عن نفسه غبار الذلة ، ويلحق بركب المجاهدين فى سبيل دينهم وقوميتهم ، قبل أن يسجل التاريخ علينا سمة التفريط والعجز .

هذه صورة مجيدة من صور الجهاد العربى ، فى شمال أفريقية ، ثغر العروبة وحصنها الغربى ؛ على سفوح جبال الجزائر الشماء ، حركة دائبة ، تجمع فيها أسود العروبة وأبطال الكفاح يرقبون مطلع نجم جديد ، يسمونه نجم أفريقيا الشمالية ، اتخذوه شارة لوحدتهم ، وعلامة لاستقلالهم ؛ وقد علموا أنه لا يشرق إلا مخضباً بالدماء ، ولا يسبح إلا فى مجرة من نور التضحية والاستشهاد . من حولهم مدن الجزائر المحبوبة لا يكدر صفوها إلا عبث هؤلاء المستعمرين مستكبرين على شهواتهم ، مغرورين بسلطانهم ، يحتفلون بما يسمونه يوم « النصر » ، النصر الذى لم يستحقوه بجهادهم ، ولم ينالوه بتضحياتهم ، ثم أبوا إلا أن يحتفلوا به أسبوعاً كاملاً أرادت فرنسا أن تبيح لشعبها فيه ما شاءت من طعام وشراب لا تملك منه شيئا ، فبعثت وكلاءها وأذنابها ينتصبون طعام المعرب فى شمال أفريقية مستعملين فى ذلك أساليبهم الاستعمارية الرجعية ؛ كما أنهم عادوا إلى سياستهم العتيقة لمحو القومية العربية ومحاربة عناصرها من دين ولغة وآداب وتقاليد ووحدة ، حتى نفد صبر العرب المجاهدين . وهاهم أولاء يبدأون كفاحهم فى يوم « النصر » حاملين سلاحهم العزيز ، كما حمله أسلافهم من قبل أمثال عبد القادر وابن عبد الكريم . وهذا سيلهم ينساب على مراكز المستعمرين ومراتع لهوهم وعبثهم ، فألقوا عليهم درساً جديداً فى بطولة العرب وإبائهم ، وشجاعتهم وثباتهم ، وذكروهم بأن حرية العربى أغلى من أن تختلس فى غفلة ، وأن دمه العزيز لا يهدر إلا فى ميادين القتال فداء الوطن والدين ...

ولا يزال صدى هذه المعارك يرهب الفرنسيين ويقض مضاجعهم ، وقد جعلهم يفكرون مرتين قبل أن يقدموا على ما أرادوه من استئناف سياسة الاستعمار الوحشية البالية ، وزاد غيظهم أنهم لم ينالوا من المجاهدين نيلاً يروى حقدهم ، فسلطوا قلوبهم — التى فرت من ميدان الكفاح الشريف أمام الألمان — على المدن الآمنة والسكان المسالمين فضربوهم بمدافعهم وطائراتهم وقتلوا آلاف المدنيين الذين لا ذنب لهم ، وانجلت الثورة عن هالة حمراء من دماء العروبة الزكية أطل منها النجم المرتقب ، نجم المجد العربى الطريف ، نجم وحدة أفريقيا الشمالية واستقلالها يرقب من بعيد هلال الوحدة العربية فى الشرق ، لعله يستجيب فتجمعها جامعة العروبة وروح الإسلام فى سماء العزة والسيادة .

ونحن فى الشرق ، ماذا فعلنا من أجل هذا النجم العزيز وهذا الأمل المشترك ؟ هل مددنا أيدينا إلى هؤلاء العرب المجاهدين فى المغرب لتربط جهادنا بجهادهم ، ونشد أزرهم فى كفاحهم ؟ ستجيب « الجامعة العربية » عن ذلك ؛ ولكنى أسائل المصريين الكرماء الذين ساعدوا منكوبى الإنسانية من كل جنس ولون : من الحبشة إلى اليونان إلى اليوغوسلاف والهولنديين والبلجيكيين بل والروسيين فى ستالينجراد ، ألم يعلموا أن هذه الثورة العظيمة فى الجزائر قد أسفرت عن منكوبين لا يقلون عن خمسة آلاف أسير ، بين قتيل وجريح وسجين باعتراف الحكومة الفرنسية نفسها ، وإن كانوا لا يقلون عن ثلاثين ألفاً فى تقدير المصادر المحايدة ؟ فأين ذهبت النجدة والكرم ، وأين حكومتنا التى تدفع الملايين من الجنيهات لتعمير بلاد أوربا « المحررة » أليس من الأولى أن تفكر فى تحرير أوطان العروبة المستعمرة ، أو إنقاذ إخواننا المنكوبين فى تلك البلاد الشقيقة ؟

توفيق محمد الشاوى

مدرس بكلية الحقوق — بجامعة فؤاد